مقدمة

المعمودية في الكتاب المقدس

تأليف: أوين أولبرايت

المعمودية في الكتاب المقدس مرتبطة ارتباطاً قوياً بالإيمان بحيث تلازمها فوائد الإيمان. لهذا السبب لا يمكن فصل المعمودية عن الإيمان – ولا الإيمان عن المعمودية. لا يمكن الحديث عن الواحد دون الآخر بما يختص بعملية اعتناق المسيحية، ولا يمكن ربط بركات الخلاص بأي منهما دون الآخر.

تقول ملحوظة في الكتاب المقدس ترجمة « أورشليم الجديدة » (New Jerusalem Bible):

> المعمودية ليست في تباين مع الإيمان، بل ترافقه ... ينسب بولس المفعول نفسه لكل من الإيمان والمعمودية ... يتم تغطيس الخاطيء في الماء ... وهكذا يتم « دفنه » مع المسيح ... (أنظر غلاطية ٣: ٢٦؛ كولوسي ٢: ١٢).

الدراسة الدقيقة للمعمودية من وجهة نظر الكتاب المقدس تؤكد أهميتها بسبب صلة المعمودية بالإيمان.

أُصلي من أجل كل من يبدأ هذه الدراسة أن يبدأها بعقل مفتوح وكتاب مفتوح، أي الكتاب المقدس. سيقود هذا إلى دراسة جادة وتقدير تعليم الكتاب المقدس عن المعمودية.

تحدثتُ قبل بضع سنوات مع امرأة كانت تدرس الكتاب المقدس فطرحت لي بعض الأسئلة عن المعمودية، فقلتُ لها باننا نحتاج إلى تعميد الشخص لأجل غفران الخطايا. وعندما لم تصدقني طلبتُ منها أن تقرأ من سفر أعمال الرسل ٢: ٣٨. فأجابت بانه لم يكن في كتابها المقدس مثل هذا النص. فمددتُ يدي وأخذتُ كتابها المقدس وفتحته. يا للدهشة! لم يكن هناك أعمال الرسل ٢: ٣٨ – لقد تم قطعه بالمعنى الحرفي من كتابها المقدس!

تنكر بعض الجماعات الدينية ضرورة المعمودية لمغفرة الخطايا. وبعض الناس لا يعتمدوا أبداً. بينما تمارس معظم الطوائف المعمودية، إلا انها لا تضع لها أهمية كبيرة. قد يستغرب الذين لهم حسن الاطلاع على هذه الطوائف ما إذا كان الكتاب المقدس يقول الكثير عن المعمودية أو يعطي أي تقدير للمعمودية. عند بدء دراستنا هذه، لنفحص أولاً الكلمتين « عمد » و« معمودية » في الكتاب المقدس. ما هي الأهمية التي أُعطيت لهاتين الكلمتين في الأسفار المقدسة؟

تكرار كلمة « معمودية » في الكتاب المقدس

المعمودية ليست فكرة من العهد القديم؛ لم يتم تعليمها في ناموس موسى ولم تُذكر خلال تلك الفترة من التاريخ. لم نجد تعليم عن المعمودية إلا عند وصولنا إلى العهد الجديد. استخدم الله يوحنا المعمدان الذي كان يعمد ليقدم المعمودية.

تُرجمت الكلمتان « عمد » و« معمودية » من اللغة اليونانية. {في اللغة اليونانية} يوجد الفعل « عمد » (اليونانية: باپتيزو βαπτίζω) تسع وسبعين مرة، والاسم « معمودية » (اليونانية: باپتيسما βαπτισμα) اثنين وعشرون مرة – مئة وواحدة مرة جمعاً. وأُستخدمت الكلمة « معمدان » (اليونانية: باپتستس βαπτιστής) أربع عشرة مرة لتشير إلى يوحنا بصفته الشخص الذي يعمد، أي الذي كان يعمد بالتغطيس حسب معنى الكلمة اليونانية « باپتستس βαπτιστής ».

يتحدث العهد الجديد عن المعمودية في

سبعة مساقات مختلفة:

١. معمودية إسرائيل في السحابة وفي البحر الأحمر – مرة واحدة فقط في (١ كورنثوس ١٠: ١ و٢).

٢. معمودية بالنار – مرتين في (متى ٣: ١١؛ لوقا ٣: ١٦).

٣. معمودية بالآلام – سبع مرات (مرقس ١٠: ٣٨ و٣٩).

٤. معمودية بالروح القدس (متى ٣: ١١) – ست مرات. (يمكن تقليل هذا العدد إلى ثلاث مرات بسبب العبارات المتشابهة في الأناجيل {مرقس١: ٨؛ لوقا ٣: ١٦؛ يوحنا ١: ٣٣} والمقتبسات من أحاديث يسوع {أعمال ١: ٥؛ ١١: ١٦}).

٥. معمودية بالماء والتي مارسها يوحنا المعمدان (مرقس ١: ٤ و٥) – تسع وثلاثون مرة. (يمكن تقليل هذا العدد إلى عشرة بسبب التطابق في الأناجيل المتشابهة، بما فيها ست إشارات إلى يوحنا وهو يعمد يسوع).

٦. معمودية بالماء والتي علمها يسوع خلال خدمته التبشيرية ومارسها تلاميذه (يوحنا ٣: ٢٢ و٢٦؛ ٤: ١ و٢) – أربع مرات. (قد تكون هذه المعمودية للغرض نفسه كما كان لمعمودية يوحنا {مرقس ١: ٤؛ لوقا ٣: ٣}، أي للذين يطلبون أن يكونوا تلاميذ يوحنا أو تلاميذ يسوع).

٧. معمودية الماء المرتبطة بالعهد الجديد {الذي قطعه الله} (متى ٢٨: ١٩) – أربع وثلاثون مرة.

الذين يعلمون بأن «معمودية الروح القدس» هي لجميع المسيحيين قد يذهلون عندما يروا بانه لم يتم استخدام مثل هذه الصيغة في الكتاب المقدس. لا يذكر الكتاب المقدس «معمودية الروح القدس» أو «معمودية الماء»، وإنما يشير إلى المعمودية «بـ» الروح القدس والمعمودية «في» نهر الأردن (متى ٣: ٦). قال يوحنا بان يسوع كان سيعمد بالروح القدس. لم يعمد الروح القدس الناس(يسوع هو الذي عمد الناس) بل كان الروح هو الذي يعمد به أو يعمد فيه الناس.

مقارنة وجود هذه الصيغ

قد أُجريت دراسة على الكلمات التالية باستخدام الترجمة الإنجيلزية للكتاب المقدس التي تسمى بـ «نيو أمريكن ستاندرد بايبل New American Standard Bible» وقد تختلف قليلاً عن الترجمة العربية المألوفة.

المرات السبع والسبعين التي أُستعملت فيها الكلمتان «عمد» و«معمودية» في العهد الجديد عند الإشارة إلى المعمودية بالماء تدل على أن للمعمودية أهمية. ولكن عدد المرات لا يظهر بالضرورة توافق المعمودية بعلاقتنا مع الله. تشير عدد المرات إلى الأهمية ولكن لا تخبرنا بشيء آخر. الشيء الأهم هو الحقيقة أنه لا يشير نصاً واحداً من هذه النصوص الكثيرة إلى أن المعمودية كانت للناس الذين تم خلاصهم. نجد ان مفاهيم مثل «غفران الخطايا» و«خلص {أومشتقاته}» تتم دائماً بعد نيل المعمودية وليست قبلها (مرقس ١: ٤؛ ١٦: ١٦؛ لوقا ٣: ٣؛ أعمال ٢: ٣٨؛ ٢٢: ١٦؛ كولوسي ٢: ١٢ و١٣؛ ١ بطرس ٣: ٢١).

يظهر الفعل «اعترف» (اليونانية: هومولوجيو ὁμολογέω) ست وعشرون مرة، ويوجد الاسم «اعتراف» (اليونانية: هومولوجيا ὁμολογία) ست مرات. قد أستخدمت هذه الصيغ سبع مرات على الأكثر بالإشارة إلى الاعتراف من أجل المصالحة مع الله.

يظهر الفعل «تبتُوبوا» (اليونانية: متانويو μετάνοέω) {والصيغ المختلفة له} أربع وثلاثين مرة، الاسم «توبة» (اليونانية: متانويا μετάνοια) أُستخدمت اثنين وعشرون مرة. وردت هذه الكلمة بأشكالها المختلفة تسع مرات عند الإشارة إلى اليهود تحت العهد القديم. وسبع مرات كمطلب لمعمودية يوحنا، وأربع مرات كضرورة لأن الملكوت كان قد اقترب، وخمسة عشرة مرة كخطوة للذين هم مسيحيين ليتصالحوا مع الله، وواحدة وعشرون مرة لتشير الى إستجابة الضالين (غير المسيحيين).

يظهر الفعل «يؤمن» (اليونانية: پيستوو πιστεύω) بحالاته المتعددة (٢٤٠) مرة، وبصيغة الاسم «إيمان» (اليونانية: پيستيس πίστις) (٢٤٣) مرة. وهذه كلمات رئيسية في الكتاب المقدس. المسيحية مؤسسة على الإيمان بالله ويسوع المسيح وعلى أعمال الله وكلمته. الكلمتين «إيمان» (اليونانية: پيستيس πίστις) و«يؤمن» (اليونانية: پيستوو πιστεύω) هما ليستا كلمتين بمفهومين مختلفين؛ الفرق الوحيد بينهما هو ان كلمة «يؤمن» هي فعل، بينما «إيمان» هو اسم يشير إلى ما يوجد بقلب الشخص الذي يؤمن. أنظر الجدول التالي:

جدول ١

«عمد» / «معمودية»	٧٧ مرة
«اعترف» / «اعتراف»	٣٢ مرة
«توبوا» / «توبة»	٥٦ مرة
«يؤمن» / «إيمان»	٤٨٣ مرة

ورود هذه الصيغ مع الأفكار الرئيسية

وردت كلمة «يؤمن» بمفاهيم مختلفة في الكتاب المقدس بمعنى خلاص – ست مرات، الحياة أبدية – سبع مرات، والادة جديدة – مرتين، الحصول على البر – أربع مرات، غفران الخطايا – مرة واحدة

وذكرت كلمة «إيمان» بالارتباط مع بعض المفاهيم الأخرى بعدد المرات الآتية: بر – خمس عشرة مرة،[1] خلاص – مرتين، غفران – مرة واحدة.

جميع الذين يؤمنون بيسوع تقريباً يتفقون على ان الله يطالب بالإيمان بيسوع والتوبة والاعتراف كشروط أساسية للخلاص وغفران الخطايا. القبول بان هذه هي المتطلبات يتوقف على عدد تكرارها في الكتاب المقدس بما يتعلق بنيل هذه البركات. (أنظر جدول ٢ على صفحة ٦). لا يعلم الكثيرون بان المعمودية مرتبطة بغفران وخلاص غير المسيحيين بعدد مرات أكثر من ارتباطها بالتوبة أو الأعتراف، وبعدد مرات تكاد أن تكون متعادلة مع «إيمان».

أُستخدمت الكلمة «اعترف أو يعترف» مرتين فقط، وفي كلا الحالتين كمطلب لغير المسيحي كي يحصل على الخلاص:

> لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص (رومية ١٠: ٩ و١٠).

يحتمل ان «الاعتراف الحسن» الذي أعترف به تيموثاوس حدث عندما صار مسيحياً (١ تيموثاوس ٦: ١٢). الذين جاءوا ليعتمدوا بمعمودية يوحنا اعترفوا بخطاياهم (متى ٣: ٦؛ مرقس ١: ٥). قال يسوع بانه يعترف قدام الآب بالذين يعترفون به قدام الناس (متى ١٠: ٣٢؛ لوقا ١٢: ٨). ربما كان يقصد بالاعتراف الأولي الذي يتم عند اعتناق المسيحية، ولكن قد يشمل هذا أيضاً على الاعتراف بيسوع في وجه الاضطهاد.[2] ذكر يوحنا الرسول بان الاعتراف بالخطايا شيء مطلوب من المسيحيين لكي يُغفر لهم (١ يوحنا ١: ٩).

بعد تكريس العهد الجديد بموت يسوع، ذُكرت الكلمة «توبة» ثلاث مرات كمطلب لغفران الخطايا:

> وقال لهم {يسوع} هكذا هو مكتوب ... أن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم

---

[1] لا يشمل هذا على الاقتباسات الثلاثة من سفر حبقوق ٢: ٤ وتلك التي وردت في العهد الجديد (رومية ١: ١٧؛ غلاطية ٣: ١١؛ عبرانيين ١٠: ٣٨) لتبين أن الأبرار يحيون بالإيمان.

[2] لا بد أن انكاره قدام الناس كان يعني انكاره للنجاة من الاضطهاد (أنظر متى ١٠: ٣٣؛ لوقا ١٢: ٩).

مبتدأً من أورشليم (لوقا ٢٤: ٤٧).

فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس (أعمال ٢: ٣٨).

فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب (أعمال ٣: ١٩).

لم يتم الحديث عن التوبة وعلاقتها مع الولادة الجديدة أو الخلاص أو التبرير. طالب بها يوحنا المعمدان (متى ٣: ٨؛ لوقا ٣: ٨) بصلتها مع المعمودية وأحياناً لمغفرة الخطايا (متى ٣: ١١؛ مرقس ١: ٤؛ لوقا ٣: ٣؛ أعمال ١٣: ٢٤؛ ١٩: ٤). كرز كل من يوحنا ويسوع بالتوبة لأن ملكوت الله كان قد اقترب (متى ٣: ٢؛ ٤: ١٧؛ مرقس ١: ١٥). كرز الرسل بالتوبة عندما أرسلهم يسوع أولاً (مرقس ٦: ١٢). قال يسوع بانه أتى ليدعو خطاة إلى التوبة (لوقا ٥: ٣٢) وبان السماء يفرح بخاطئ واحد يتوب (لوقا ١٥: ٧). شجع بولس الناس لأن يتوبوا (أعمال ١٧: ٣٠؛ ٢٠: ٢١؛ ٢٦: ٢٠). تم ذكر التوبة كشيء يريده الله (أعمال ٥: ٣١؛ ١١: ١٨؛ رومية ٢: ٤؛ عبرانيين ٦: ١؛ ٢ بطرس ٣: ٩) للذين هم تحت العهد الجديد. وذُكرت أيضاً كمطلب للذين صاروا مسيحيين (لوقا ١٧: ٤؛ أعمال ٨: ٢٢؛ ٢ كورنثوس ٧: ٩ و١٠؛ عبرانيين ٦: ٦؛ رؤيا ٢: ٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٢؛ ٣: ٣ و١٩).

ذكر يسوع مرتين انه ينبغي أن نؤمن بالكلمة ، أي الإنجيل، لكي نخلص (لوقا ٨: ١٢؛ مرقس ١٦: ١٦). ونرى بان بولس علم أربع مرات بانه ينبغي أن نؤمن لكي نخلص (أعمال ١٦:٣١؛ رومية ١: ١٦؛ ١٠: ٩؛ ١ كورنثوس ١: ٢١). وتم ذكر الولادة الجديدة بعلاقتها مع الإيمان في مناسبتين: (يوحنا ١: ١٢ و١٣؛ ١ يوحنا ٥: ١). وذكرت الحياة الأبدية بارتباطها مع الايمان سبع مرات(يوحنا ٣: ١٥ ، ١٦ ، ٣٦؛ ٦: ٤٧؛ ١١:٢٦؛ ٢٠: ٣١؛ ١ تيموثاوس ١: ١٦). ذُكرت الكلمة «يؤمن» في الحديث عما هو ضروري للحصول على غفران الخطايا (أعمال ١٠: ٤٣)؛ ورُبطت أربع مرات بالكلمة اليونانية «ديكايوس δικαίως» (أو إحدى إخواتها في اللغة اليونانية) وتترجم عادة إلى «تبرير»، أو «تحرير من»، أو «البر» (أعمال ١٣: ٣٩؛ رومية ١٠: ٤ و١٠؛ غلاطية ٢:١٦).

تم ذكر ضرورة الإيمان من أجل الخلاص مرتين (أفسس ٢: ٨؛ ١ بطرس ١: ٩)، ونقرأ في مكان واحد بانه يطهر القلوب (أعمال ١٥: ٩). الكلمة «بر» المترجمة من الكلمة اليونانية «ديكايوس δικαίως» أو إحدى أشكالها ذُكرت في صلة مع الإيمان خمس عشر مرة (رومية ٣: ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠؛ ٤: ٥ ، ١٣–١٦؛ ٥: ١؛ ٩: ٣٠؛ غلاطية ٢: ١٦؛ ٣: ٨ و٢٤؛ فيلبي ٣: ٩؛ عبرانيين ١١: ٧؛ يعقوب ٢: ٢٤) وتظهر ثلاث مرات في العهد الجديد مقتبسة من سفر حبقوق ٢: ٤.

ورد ذكر المعمودية بارتباطها بالخلاص في نصين (مرقس ١٦: ١٦؛ ١ بطرس ٣: ٢١)، وبالغفران والتطهير من الخطايا ثلاث مرات (أعمال ٢: ٣٨؛ ٢٢: ١٦؛ كولوسي ٢:١٢ و١٣؛ أنظر

جدول ٢

الأفكار الرئيسية

المصطلحات (التي تشتمل على أشكال الكلمة)

	خلاص	غفران	حياة جديدة	حياة أبدية	بر
«اعترف»	٢	صفر	صفر	صفر	صفر
«توب»	صفر	٣	صفر	صفر	صفر
«آمن»	٨	٢	٢	٧	١٩
«اعتمد»	٢	٣	٢	صفر	صفر

أيضاً أفسس ٥: ٢٦)، ومرتبطة بالحياة الجديدة مرتين (رومية ٦: ٤؛ كولوسي ٢: ١٢ و١٣). وربط يسوع الماء الذي يمثل المعمودية بالولادة الجديدة أيضاً (يوحنا ٣: ٣ و٥؛ أنظر تيطس ٣: ٥).

يبدو بكل وضوح أن المعمودية تظهر مرتبطة بالخلاص والغفران والحياة الجديدة بعدد مرات متساوية أو أكثر من ظهور الاعتراف والتوبة. إذن الذين يقبلون الاعتراف والتوبة بانهما ضروريان للخلاص ينبغي أن يقبلوا المعمودية أيضاً. أشكال الكلمة « عمد » لها صلة بالغفران والحياة الجديدة أكثر من صلة كلمة « إيمان » وأشكالها.

ظهور هذه الصيغ معاً

لقد ذُكرت الكثير من الاستجابات المطلوبة معاً. في إحدى المناسبات ذُكر أن الناس « اعترفوا » بما يختص بـ« معمودية » يوحنا (مرقس ١: ٥). استخدم بولس « اعتراف » مع « إيمان » مرتين (رومية ١٠: ٩ و١٠)، وذكر فيلبس « اعتراف » مع « معمودية » العهد الجديد في نص واحد (أعمال ٨: ٣٧). ولا تظهر الكلمة « اعترف » مع الكلمة « توب ».

تظهر الكلمة « توب / توبة » مع الكلمة « آمن » مرة واحدة {في صيغة الجمع} (مرقس ١: ١٥)، وتظهر مع الكلمة « إيمان » مرة واحدة (أعمال ٢٠: ٢١)، وتظهر في صلة مع معمودية يوحنا أربع مرات (مرقس ١: ٤؛ لوقا ٣: ٣؛ أعمال ١٣: ٢٤؛ ١٩: ٤)، وفي صلة مع معمودية العهد الجديد مرة واحدة (أعمال ٢: ٣٨).

يظهر الفعل « يؤمن » في صلة مع « معمودية » يوحنا مرة واحدة في تطلع إلى مجيء المسيح (أعمال ١٩: ٤). ويظهر أيضاً أربع مرات عند الحديث مباشرة عن معمودية العهد الجديد (مرقس ١٦: ١٦؛ أعمال ٨: ١٢ و١٣؛ ١٨: ٨). (ويظهر مرتين بالتضمين {أعمال ٢: ٣٨ و٤٤؛ ١٦: ٣٣ و٣٤}). ويظهر مرة أخرى عندما ذكره فيلبس في (أعمال ٨: ٣٧). يظهر الاسم « إيمان » مع المعمودية مرتين في (غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧؛ كولوسي ٢: ١٢).

تبين مقارنة مصطلحات الكتاب المقدس أعلاه أن الفعل « يؤمن » بأشكاله والاسم « إيمان » ذُكر في الاغلب مع المعمودية، وفي مرات قليلة مع التوبة والاعتراف.

الخلاصة

لا تظهر كلمة « معمودية » بكثرة في العهد الجديد فحسب، بل ان فكرة المعمودية هي في الأصل من الله وعلمها يسوع.

ومن هنا يستخلص الشخص أن المعمودية هي أكثر من مجرد موضوع غير هام في العهد الجديد. لقد تم ذكرها أكثر من المتطلبات المقبولة أهميتها بصفة عامة. دراسة بسيطة للعهد الجديد تؤكد أن يسوع علم المعمودية وانها تظهر في العهد الجديد بكثرة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧